جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 30. العدد. 04. السنة. 2026.
مجلة المعيار
EL MIEYAR

علمُ لغةِ النّص والتّفسيرُ اللغويّ للقرآن الكريم. تداخلٌ أم تمايز؟

Text Linguistics and the Linguistic Exegesis of the Qurʾān: Convergence or Divergence?

د. عمر بوشنة [1]
bouchena.omar@univ-tam.dz
https://orcid.org/0009-0008-8405-6509

تاريخ الاستلام: 2026/03/30 تاريخ النشر: 2026/09/15
Received: 30/03/2026 published: 15/09/2026

ملخص المقال :

يُعدّ علمُ لغة النص من أبرز الاتجاهات اللسانية المعاصرة التي تهدف إلى تحديد نصّية الخطاب وفق معايير مثل الاتساق والانسجام والتناص والقصدية والمقبولية. وبحكم ارتباطه بالتوجه التداولي، فإنه يتجاوز تحليل البنية الظاهرة للملفوظ إلى استحضار السياقات الموقفية وظروف التواصل لفهم المعنى. وإذا رجعنا إلى التراث العربي، وجدنا أن علماء التفسير قد أولوا عناية كبيرة للتحليل اللغوي في استنطاق معاني القرآن الكريم، فلم يقتصروا على المأثور، بل استثمروا أدوات اللغة وقواعدها لاستنباط دلالات دقيقة. وتكشف هذه المنهجية عن تقاطعات واضحة مع اللسانيات النصية الحديثة، خاصة في مراعاة السياق ووحدة النص. ومن ثمّ، تسعى هذه الدراسة إلى إبراز أوجه التداخل والتمايز بين علم لغة النص والتفسير اللغوي للقرآن الكريم، انطلاقًا من الإشكالية: ما حدود الالتقاء والاختلاف بين المنهجين؟

كلمات مفتاحية: الخطاب، النصية، التفسير، اللغة، القرآن.

Abstract:

Text linguistics is a major contemporary approach that defines textuality through criteria such as cohesion, coherence, intertextuality, intentionality, and acceptability. Linked to pragmatics, it goes beyond surface structures to consider context and communicative conditions in meaning-making. In the Arabic tradition, Qur'anic exegetes relied on linguistic analysis to uncover intended meanings, employing language rules alongside transmitted interpretations. Their method shows clear parallels with modern text linguistics, especially in its attention to context and textual unity. This study therefore examines the points of convergence and divergence between the two approaches. It seeks to answer: what similarities and differences exist between text linguistics and the linguistic interpretation of the Qur'an?

Keywords: *Discourse, Textuality, Exegesis, Language, Qur'an.*

(1) مخبر الممارسات اللغويّة والأدبيّة بالمناطق الصحراويّة الجزائريّة وامتداداتها بالسّاحل الإفريقيّ، جامعة أمين العقال الحاج موسى آق أخموك تامنغست(الجزائر).

مقدمة:

يشهد الدّرس اللغويّ المعاصر تحوّلًا نوعيًّا في دراسة الظّواهر النّصيّة، بعد ظهور علم لغة النّص الذي يروم تحديد مقوّمات النّصية ومعاييرها، وفي مقدّمتها: الاتّساق، والانسجام، والتّناص، والقصدية، والمقبولية. وقد مثّل هذا الاتجاه امتداداً طبيعيّاً للمقاربات التّداوليّة التي تجاوزت حدود البنية اللفظيّة نحو تحليل السّياقات الموقفيّة، وملابسات التّواصل وديناميكيّة الخطاب، وبفضل هذه المقاربة الشّموليّة، أصبح تحليل النّصوص لا يقفُ عند مستوى الكلمة أو الجملة، بل يتعدّاها إلى فهم العلاقات النّصيّة والبُنى الخطابية الكلّية.

وبالعودة إلى التّراث العربيّ، نلحظ أنّ علماء التّفسير مارسوا – بوعي أو بغير وعي – كثيراً من مبادئ التّحليل النّصي، حين توسّلوا بأدوات اللّغة العربية وقواعدها لاستنطاق دلالاتِ القرآن الكريم، والكشف عن نُكَتِه البيانيّة، فقد تجاوز المفسّرون التفسير المأثور في مواضعَ كثيرة، واعتمدوا شواهد اللّغة واستراتيجيات التحليل السّياقيّ والتفسير الدّلاليّ، وهي جوانب تتقاطع إلى حدّ كبير مع ما تطرحه اللّسانيات النّصّية الحديثة.

ومن هنا تتولّد إشكالية هذه الورقة البحثيّة، في التساؤل عن طبيعة العلاقة بين المنهجين كالآتي: ما أوجه التّداخل والتّمايز بين علم لغة النّص والتّفسير اللغويّ للقرآن الكريم؟ وهل يمكن اعتبار المنهج النصّي إطاراً مقارِباً يمكن استثماره في تحليل الخطاب القرآنيّ دون أن يمسّ بخصوصيّته ومرجعيّته التفسيريّة؟

وانطلاقًا من هذه الإشكالية، تتغيّا هذه الدراسة تحقيق جملة من الأهداف تتلخّص فيما يأتي:

1. تبيين الأسس النّظرية لكلّ من علم لغة النّص والتّفسير اللغويّ.
2. استجلاء مواضع الالتقاء بين التّحليلين في النظر إلى السياق والعلاقات النصيّة.
3. تحديد أوجه الاختلاف في المنطلقات والأهداف والأُطُر الإجرائيّة.
4. اقتراح إمكانية بناء مقاربة تكامليّة تراعي ضوابط التّفسير وخصوصيّة النّص القرآنيّ.

وسنعتمد في ذلك على مقاربة وصفيّة–تحليليّة–مقارنة، تستند إلى نماذج تطبيقيّة من القرآن الكريم، لإظهار مدى اتّساق أدوات اللسانيات النصيّة مع مناهج التّفسير اللغويّ، وحدود الاستفادة منها في تحليل الخطاب القرآنيّ. وبذلك تروم هذه الورقة الإسهام في تجسير الهوّة بين الدّرس اللغويّ الحديث والتّراث التفسيريّ، وفتح أفق نظريّ يتيح قراءة لغويّة أكثر وعياً بالبنية النّصّية للقرآن الكريم من خلال خطة قوامها مايلي:

أولا: مفهوم علم لغة النّص والتفسير اللغوي للقرآن الكريم.

ثانيّا: نقاط التداخل بينهما في النظر والإجراء.

ثالثا: نقاط التمايز بينهما في النظر والإجراء.

رابعا: خلاصة.

أولا: مفهومُ علم لغة النّص والتفسير اللغويّ للقرآن الكريم.

1. مفهوم علم لغة النّص:

يُعَدّ علمُ النّص من أبرز المجالات التي يعوّل عليها الدرسُ اللغوي الحديث، لِما يقدّمه من آلياتٍ تكشف الضوابط والقوانين التي تُحوّل الملفوظات إلى نصٍّ مكتمل ينهض بوظيفته الإبلاغية داخل سياق التّواصل. وقد أُرسيت في هذا الإطار المعاييرُ السبعة للنصّيّة، التي تُحقّق هذه الرؤية، وهي: الاتساق، والانسجام، والقصدية، والمقبولية، والمقامية، والإعلامية، والتناص.

ولعلّ المتأمل في هذه المعايير السبعة سيجد أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام باعتبار الجهة التي تهتم بها، فمعيارا الاتساق والانسجام اعتبارا بما يتصل بالنص المنتج مباشرة وأما ما يتعلق بمستعملي النصوص سواء كانوا منتجين لها أم متلقّين فهما معيارا القصدية والمقبولية، وأما ما يعود إلى السياق المادي والثقافي للنص فتشمل: المقامية والإعلامية والتناص. (**عفيفي، 2001، صفحة 76**).

1. 2 مفهوم النّص:

تحدّده عزة شبل محمد في كتابها علم لغة النص على أنه (شبل، 2018، صفحة ز)" وحدة لغويّة دلاليّة تنتج عن مجموعة من الجمل ترتبط فيما بينها من خلال وسائل الخطاب، بعضها نحويّة وبعضها دلاليّة وأخرى منطقيّة" ، ونظرا لارتباطه بأبعاد تداوليّة، فإنه لم يعد يُنظر في تحديده إلى مسألة الحجم، بل صار المقياسُ الوحيدُ هو تحقيقه للتّواصل في السياق المنتج فيه، وعليه يمكن أن نعرّفه على أنّه اللغةُ الفعّالة في سياق الموقف.

1. 3 مفهوم الخطاب والفرق بينه وبين النّص:

1. 3. 1 التحديد الصّوري للخطاب:

يُحدّد مفهوم الخطاب في الأدبيّات اللسانيّة الحديثة تحديدا صوريّا على أنه (حمو الحاج، 2015، صفحة 64) "كل ملفوظ أكبر من الجملة والمنظور إليه من خلال قواعد ربط سلسلة من الجمل". كما يعرفه زليج هاريس(1909 - 1992م) بأنه (صبري، 2015م، صفحة 29)" ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل، تكون مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر" فهو يتعدى الجملة من حيث الحجم ويتميز عنها بخصائص إضافية خارج بنية اللغة، قد تكون دلالية أو تداولية أو سياقية، وهذا التحديد الصوري أصبح متجاوزا في الأدبيّات الحالية، فقد يكون الخطاب كلمة واحدة أو جملة واحدة، مادام يشكل وحدة لغوية تسهم في عملية التخاطب الناجح.

ومن خلال هذه النظرة البنوية للخطاب، قد يستعمل الخطاب مرادفا للنص إذا ما عومل معاملة بنويّة صوريّة لمجموعة من الجمل متناسقة التركيب، وقد يفرّق بين النّص والخطاب من خلال مسألة الملفوظ من حيث الشفهية والكتابية، إذ يتحول النص إلى خطاب بمجرد دخوله حيز الاستعمال والتفاعل الثقافيّين، بين المنتج والمتلقي، فيُحدث تأثيرا في سلوك المتلقي كقولنا: (ممنوع التدخين)، من حيث البنية اللغوية هي نص، وتصبح خطابا حين توضع في مقهى أو مكان عمومي تفرض على المتلقي الالتزام بمضمونه. (حمو الحاج، 2015، صفحة 66 .67)، ومثله خطبة الجمعة، مادامت لم تدخل في ملابسات الخطاب الذي يقتضي الجمهور المتلقي والمكان المناسب، فإنها نص.

1. 3. 1 التحديد الوظيفي للخطاب:

يحدد أحمد المتوكل مفهوم الخطاب تحديدا وظيفيا ينأى به عن الفروق الصورية السّابقة، ويربطه بالوظيفة التواصلية التي التي يضطلع بتحقيقها، فالخطاب عنده (أحمد، 2010، صفحة 24) "كل ملفوظ / مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات"، إذ نلاحظ أنه مفتوح على جانب الشفاهية والكتابية، مستغرق في كليهما، لا علاقة له بطول الحجم أو قصره، وإنما الغاية والهدف في التواصليّة المنجزة عن طريق هذا المنتج اللغوي، بعيدا عن التقابل السّلبي بين مصطلحي نص/ خطاب.

1. 4 منطلقاته التّداوليّة وانفتاحه على مجالات متعدّدة:

يمكننا استناداً إلى المبدأ القائل بأنّ علم لغة النّص لا يقتصر على وصف البُنى النّصيّة فحسب، بل يتعيّن عليه كذلك الكشفُ عن الوظيفة الاتّصالية للنصوص، ملاحظةُ نزوعٍ أحياناً إلى تجاوز حدوده باتجاه علم الاتّصال، حتى يكاد يتحقّق نوع من المساواة بين المجالين. فمجال علم النّص، في جوهره، يتّسع ليشمل وصف مختلف مظاهر العملية الاتصاليّة وقيودها. (فيهقجر، 2004، صفحة 6) وهذا ما جعله علما مستعصيّا على الحصر في زاوية محدّدة، نظرا لتشعّب المجالات التي تتعاوره، وهو ما صرّح به سعيد بحيري قائلا (بحيري، 2010، صفحة 17): " ويتسم هذا العلم أيضا بتشعبه إلى حد بعيد إذ إننا لا نجد إلا قدرا ضئيلا من الاتفاق حول مفاهيمه وتصوراته ومناهجه، فقد استوعب حدا لا يستهان به من المفاهيم نظرا لكثرة منابعه واتساع مشارب الباحثين فيه."

وعلى الرغم من اتّساع دائرة علم النص وانفتاحه على معطيات متعددة من علومٍ أخرى كعلم النفس الاجتماعي وعلم التواصل والتداولية، فإنّ ذلك لا ينبغي أن يُفهم بوصفه نفيًا لخصوصيّته أو ذوبانًا لمفهومه في المفهوم الموسّع لتلك العلوم. فخصوصية علم النص تنبع أساسًا من كونه ينطلق من البنية اللغوية في مستوياتها المختلفة، ويجعل منها مدخله الأول لفهم تشكّل المعنى وآليات ترابط الخطاب. غير أنّ هذا الأساس اللغوي لا يكتمل من دون استحضار العوامل النفسية والاجتماعية والتداولية التي تسهم في توجيه إنتاج النصّ وتأويله. وبهذا يظل علم النص مجالًا محدّدًا بهويته المنهجية الخاصة، وإنْ استفاد من غيره من العلوم واستكمل بها رؤيته التحليلية.

يقول الباحثان فولفجانج هاينه مان و ديتر فيهقجر بخصوص بيان الميزة الانفرادية لهذا العلم: (فيهقجر، 2004، صفحة 8) " لا يمكن أن يفهم علم لغة النص على أنه علم شامل وليس كذلك على أنه علم النص بمفهوم فان دايك بل يجب أن ينحصر علم لغة النص في بحث أبنية النص وصياغاته، وذلك من خلال تضمنها في سياقات اتصالية وسياقات اجتماعية ونفسية بوجه عام. وبناء على ذلك يجب أن تظل النصوص هي منطلق البحث اللغوي النصي وهدفه. ومن الجائز حقا أن يعد تداخل الاختصاصات (تضافر العلوم) في معالجة النصوص في الوقت الحاضر شرطا ضروريا لمدخل منهجي موفق دون توسيع مبالغ فيه لمجال الموضوع. ومن ثم يشكل النص نفسه الموضوع الأساسي والأصلي لعلم النص، وهي المهمة المحورية لعلم لغة النص على الإطلاق."

2. مفهوم التفسير اللغوي للقرآن الكريم:

إن مصطلح التفسير اللغويّ يتركّب تركيبا وصفيّا من كلمة(التفسير)، وكلمة (اللغويّ) فكأنّنا وصفنا التفسير باللغويّ لنميزه عن غيره من التفاسير المعتنية بكتاب الله عز وجل، ولذلك سنعرّف علم التفسير جملةً ثم نعرّفه مركّبا تركيبا وصفيّا.

2 .1 تعريف علم التفسير:

عرّفه بدر الدين الزركشي (ت794هـ) بقوله: (الزركشي، 1957، صفحة 13/1)" التَّفْسِيرُ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيَانُ مَعَانِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ وَاسْتِمْدَادُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَعِلْمِ الْبَيَانِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَاتِ وَيَحْتَاجُ لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ من الموضوعات ما بين مختصر ومبسوط وكلهم يَقْتَصِرُ عَلَى الْفَنِّ الَّذِي يَغْلِبُ عَلَيْهِ فَالزَّجَّاجُ والواحدي في البسيط يغلب عليهما الغريب وَالثَّعْلَبِيُّ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْقَصَصُ وَالزَّمَخْشَرِيُّ عِلْمُ الْبَيَانِ وَالْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ عِلْمُ الْكَلَامِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ"

يُظهر الزركشي في هذا النص وعياً دقيقاً بتنوّع مناهج المفسّرين واختلاف مقاصدهم العلمية؛ فمع أنّ علم التفسير يقوم على جملة من العلوم الأصليّة التي تُسعف في فهم كتاب الله، فإنّ كلَّ مفسّرٍ يُبرز في تفسيره الفنَّ الذي يُجيده ويغلب على تكوينه المعرفيّ، وبهذا تتنوّع التآليف بين لغويّ يغلب عليه تحليل المفردات، وبيانيّ يركّز على الأساليب والبلاغة، ومُعْتَنٍ بالقصص، وآخر يميل إلى الجدل العقليّ أو الكلاميّ. وهذا التّنوع لا يُعدّ نقصًا، بل يكشف عن ثراء حركة التّفسير واتّساعها، ويُبرز خصوصيّة كل مصنَّف بحسب تخصّص صاحبه ومقاصده في خدمة المعنى القرآنيّ.

2 .2 تعريف التفسير اللغوي:

(الطيار، صفحة 38)" هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب. أما الشقّ الأول من التعريف وهو بيان معاني القرآن فإنه عام يشمل كلّ مصادر البيان في التفسير؛ كالقرآن والسنّة وأسباب النزول وغيرها. وأما الشق الثاني منه، وهو بما ورد في لغة العرب: فإنه قيدٌ واصف لنوع البيان الذي وقع لتفسير القرآن، وهو ما كان طريق بيانه عن لغة العرب."

والبيان الذي تكون طريقه لغة العرب يتجلّى في حمل معاني ودلالات كلام الله عزّ وجل على سنن الوضع العربي، من معاني المفردات وأساليب العرب وتصرّفها في كلامها، كما جاء في الموافقات: (الشاطبي، 1997، صفحة 131/2) " لَا بُدَّ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ مِنِ اتِّبَاعِ مَعْهُودِ الْأُمِّيِّينَ، وَهُمُ الْعَرَبُ الَّذِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِمْ، فَإِنْ كَانَ لِلْعَرَبِ فِي لِسَانِهِمْ عُرْفٌ مُسْتَمِرٌّ، فَلَا يَصِحُّ الْعُدُولُ عَنْهُ فِي فَهْمِ الشَّرِيعَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ عُرْفٌ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُجْرَى فِي فَهْمِهَا عَلَى مَا لَا تَعْرِفُهُ. وَهَذَا جارٍ فِي الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ وَالْأَسَالِيبِ "

ومن أوائل الذين حملوا راية هذا التفسير الصحابي الجليل عبد الله بن عباس(ت68هـ) الذي كان يفسر غريب مفردات القرآن ويستدلّ لها من شعر العرب، وقد عرفت بمسائل نافع ابن الأزرق، ثم تبلورت حركة هذا النوع من التفسير في مصنفات ألفها لغويّون ونحويّون من أمثال كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى(ت209هـ) ، وكتاب معاني القرآن للأخفش الأوسط(ت215هـ) ومعاني القرآن لأبي زكريا الفراء (ت207هـ) ، ومعاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزّجّاج(ت311هـ) ، وغيرها من المصنّفات. إلى أن بلغت الذروة في أسلوب التحليل البياني على يد أبي القاسم الزمخشري (ت538هـ) ومن تلاه من المحدثين كالعلامة الطاهر ابن عاشور(ت1973م) في التحرير والتنوير.

3. 2 ضابط التّفسير اللغويّ:

إن التّفسير اللغويّ الذي يكشف دلالات الألفاظ ووجوه المعاني في الذكر الحكيم لا يستقل بما توحي به اللغة وحدها، بل يضاف إليه السّياق الشّرعي أو النّقل المأثور من السنّة، حتى لا يحيد المفسّر اللغويّ عن وجه الحق في تطلّبه، وفيما يأتي نسوق مثالا من كتاب معاني القرآن وإعرابه للزّجاج لتتضح به الفكرة:

قال الزّجاج عند قوله تعالى:﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:17]: (الزجاج، 1988، صفحة 314/3)" معناه : ما كنّا فاعلين، وكذلك جاء في التّفسير، ويجوز أن يكون للشّرط، أي: إنْ كنّا ممّا يفعل ذلك، ولسنا ممن يفعله، والقول الأوّل قول المفسّرين، والقول الثّاني قول النّحويّين، وهم أجمعون يقولون القولَ الأوّل ويستجيدونه، لأنَّ " إنْ " تكون في معنى النّفي، إلاَّ أنَّ أكثر ما تأتي مع اللام تقول: إنْ كنتَ لصالحا؛ معناه ما كنتَ إلا صَالحا " .

وقال أيضا عند تفسير قوله تعالى : ﴿ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[الرعد:29]: (الزجاج، 1988، صفحة 121/3) "... وطوبى عند النّحويين " فُعْلَى" من الطّيب، المعنى : العيش الطّيب لهم، وجاء في التّفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنّ طوبى شجرة في الجنة. وقيل: طوبى لهم : حسنى لهم. وقيل: طوبى لهم خير لهم. وقيل: طوبى لهم اسم الجنة بالهنديّة، وقيل طوبى لهم خيرة لهم، وهذا التّفسير كلّه يشبهه قول النّحويين أنّ "فُعلى" من الطيب ".

فالتّفسير اللغويّ على أهميته في الكشف عن الدّلالات الأصليّة للألفاظ وحقيقة المعاني في القرآن الكريم، لا يمكن أن ينفصل عن التّفسير الشّرعي ولا عن النّقل المأثور. فالمفسِّر اللغويّ مهما أوتي من أدوات اللّغة وعمق النّظر فيها، يبقى محتاجًا إلى ما يضبط مساره، حتى لا يُغَلِّب الاحتمال اللغويّ على المقصود الشرعيّ، ومن هنا تتجلّى القيمة العلميّة لما أورده الزجّاج في أمثلته؛ إذ يبيّن كيف يمكن للوجه اللغويّ أن يتّسع لعدّة احتمالات، لكن السّياق التفسيريّ المأثور يحدّد المقصود الأقرب للآية ويمنع الانزلاق إلى تأويلاتٍ لا يشهد لها صحيح السنّة أو الإجماع.

وتظهر هذه العلاقة التّكامليّة بجلاء في المثالين المذكورين؛ ففي قوله تعالى :﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ يعرض الزجّاج وجهين: أحدهما لغويّ نحويّ محتمل، والآخر تفسيري مأثور، ثم يقدّم المأثور لأنه أضبط وأقرب للمعهود في كلام العرب في هذا السّياق. وكذلك في قوله :﴿طُوبَى لَهُمْ﴾، حيث يورد الدّلالة اللغوية الأصليّة، ثم يبيّن أنّ ما جاء عن النبي ﷺ يخصّص هذا المعنى ويوضّحه، دون أن يُخالف أصل الوضع اللغويّ.

وهكذا يتجلّى ضابطُ التفسير اللغويّ بأن يبدأ من اللغة ولا يقف عندها، وأن يستنير بالمأثور الشّرعيّ دون أن يُقصيَ البنية الدّلالية للألفاظ؛ لأنّ التفسير الحقّ ثمرةُ تفاعلٍ بين البيان اللغويّ والهدي النّبويّ، لا انفراد أحدهما عن الآخر.

ثانيًا: نقاط التّداخل بينهما في النّظر والإجراء

1. الاعتناء بالسّياق:

يعدّ سياقُ الموقف كما صاغه مالينوفسكي أحدَ المفاتيح الأساس لفهم الخطاب، إذ بيّن أنّ المعنى لا يُستخلص من البنية اللغوية وحدها، بل يتشكّل داخل شبكة من الظّروف المحيطة بالكلام: موضوعه، ومناسبته، وزمانه ومكانه، وطريقة أدائه، والدافع إلى قوله، وسائر العوامل التي تؤثّر في صياغته ودلالته ووظيفته. وهذه الفكرة –على ما فيها من جدة في الدّرس اللّسانيّ الحديث– ليست غريبة عن التّراث العربيّ؛ إذ عبّر عنها العلماء بمصطلح المقام، وجعلوا له دوراً حاسماً في الكشف عن مرامي الخطاب وأساليبه.

ولم يكن المفسّرون بمنأى عن هذا الوعي، فقد أدركوا أنّ النصّ القرآنيّ نزل في سياقاتٍ مخصوصة، وأنّ إدراك تلك السّياقات يعدّ شرطًا في الفهم الدقيق لمعانيه واستنباط أحكامه. ولذلك اشترطوا على من يتصدّى لتفسير القرآن أن يكون عالمًا بـ: أسباب النزول، ووجوه المناسبات، وارتباط الآيات بعضها ببعض، وبمكانة السّنة في بيان المجمل وتقييد المطلق، وتخصيص العام. وهذه الجهود التفسيريّة والبلاغية كلّها تؤكّد أن سياق الموقف يمثّل إطارا مركزيّا في عملية الاتصال وفهم النّص، وأنّ المعنى لا يستوي إلّا إذا قُرئ في ضوء الملابسات التي احتفت بنزوله ووجّهت مقاصده. (شبل، 2018، صفحة 4)

2. البحث عن الاتساق والانسجام الدّلالي:

يمثّل السياق الثقافي وما يتّصل به من معرفةٍ بأحوال العرب وطرائق تفكيرهم، إضافةً إلى علم المناسبة الذي يكشف علائق الآيات بعضها ببعض، مدخلين مهمّين لفهم الانسجام في النصّ القرآني؛ ذلك أن الانسجام –باعتباره أحد معايير النصيّة– يقوم على الروابط العميقة التي تجعل النص وحدةً دلالية متماسكة لا مجرد تراصفٍ للجمل. ومن هنا كان إدراك السياق الثقافي الذي يخاطب القرآن أهله، ومعرفة الملابسات التي تربط الآيات بسياق نزولها أو بموضوع السورة، ذا أثر مباشر في استجلاء المسار الدلالي العام للخطاب القرآني. فالمفسّر حين يعي مقاصد الخطاب في بيئته الثقافية، ويتبيّن وجوه المناسبة بين الآيات، يستطيع أن يكشف الخيط الناظم لمسار المعنى وأن يدرك كيفية ترابط أجزاء السّورة في بنية واحدة، مما يعكس تقاطعًا واضحًا بين الدّرس التفسيريّ ومفهوم الانسجام كما تحدّده لسانيات النّص.

وهو ما يؤكّده جلال الدين السّيوطي(ت911هـ) عند حديثه عن علم المناسبة في القرآن الكريم، نقلا عن (كتابه سِرَاجِ الْمُرِيدِينَ في سبيل الدّين) لِلْقَاضِي أَبُي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ(ت543هـ) إذ يقول: (السيوطي، 1974، صفحة 369/3)" ارْتِبَاطُ آيِ الْقُرْآنِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ حَتَّى تَكُونَ كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مُتَّسِقَةَ الْمَعَانِي مُنْتَظِمَةَ الْمَبَانِي عِلْمٌ عَظِيمٌ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ إِلَّا عَالِمٌ وَاحِدٌ عَمِلَ فِيهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا فيه فلما لَمْ نَجِدْ لَهُ حَمَلَةً وَرَأَيْنَا الْخَلْقَ بِأَوْصَافِ الْبَطَلَةِ خَتَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ ورددناه إليه" .

ومن الأمثلة المطروقة في علم المناسبة، مناسبة فاتحة السّورة لخاتمة ما قبلها، ومناسبة افتتاح السّورة للموضوع الذي تعالجه، ومناسبة تقديم آية على أختها، وغير ذلك كثير. نسوق مثالا واحدا يبين مناسبة اختتام سورة الصّافات بقوله تعالى: ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا

يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾[الصّافات:181/182] إذ يقول الزّمخشري في كشّافه: (الزمخشري، 1407، صفحة 69/4) "اشتملت السّورة على ذكر ما قاله المشركون في الله، ونسبوا إليه مما هو منزه عنه، وما عاناه المرسلون من جهتهم، وما خوّلوه في العاقبة من النصرة عليهم، فختمها بجوامع ذلك؛ من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون، والتسليم على المرسلين، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ على ما قيض لهم من حسن العواقب. والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يبخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد ".

3. تجاوز حدود الجملة إلى البنية الكلّية:

ينظر كلّ من المفسرين اللغويّين والمشتغلين بعلم اللغة النصّي إلى النصوص باعتبارها وحدات كلّية، تحقق مبدأ التواصل، متجاوزين وحدة الجملة، إلى البحث عن العلاقات بين الجمل بما يكفل انسجام الخطاب، (شبل، 2018، صفحة 187)" وعلى هذا فروابط الخطاب قد تكون ضمنية أو ظاهرة في سطح النص، تربط بين جمل متجاورة أو جمل غير متجاورة في النص على نحو متتال أو متداخل".

وذلك ما يظهر عند علماء التفسير في مظهر تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير آية بآية أخرى في موضع آخر من القرآن الكريم، وهذه قاعدة قد صرّح بها الزّمخشريّ في كشّافه تنظيرا حين قال (الزمخشري، 1407، صفحة 430/2):"... فتأمّله فإنّ القرآن يفسر بعضه بعضا" وإجراء عند تفسير قوله تعالى (الزمخشري، 1407، صفحة 478/3): ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾[الروم:29]. الَّذِينَ ظَلَمُوا: أي أشركوا، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لظلم عظيم﴾[لقمان:13]. بِغَيْرِ عِلْمٍ :أي اتبعوا أهواءهم جاهلين، لأنّ العالم إذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفّه."

ثالثا: نقاط التمايز بينهما في النّظر والإجراء

1. اختلاف المنطلقات:

ينطلق علم لغة النص من أرضيةٍ لسانية حديثة تهتم بدراسة طبيعة النّص وخصائصه ووظائفه في إطار نظريّة شاملة للنّصية ومعاييرها، مستفيدا من تطوّر اللّسانيات البنيوية والتّداولية وتحليل الخطاب، أمّا التّفسير اللغويّ فينبعُ من تراثٍ لغويّ عربيّ أصيل، تأسّس على جهود أئمة اللغة والنّحو والبيان، ويقوم على فهم ألفاظ القرآن وأُسُسِ العربية التي نزل بها. يقول سعيد بحيري بهذا الصّدد : (بحيري، 2010، صفحة 21)" ولا يخفى أن لمناقشتنا لحدود البلاغة وعلاقاتها بعلم لغة النص دلالة واضحة على الصلة الوثيقة بينهما إلى الحد الذي جعل بعض الباحثين يعدها السابقة التاريخية لعلم النص غير أنهما في الحقيقة يختلفان في المنهج والأدوات والتحليل والأهداف."

وبذلك يتباين المجالان في خلفيتهما النّظرية؛ فالأوّل يستند إلى مقاربات علميّة حديثة، بينما يرتكز الثّاني على معايير التّراث اللغويّ ومفاهيمه، يقول فانديك مبيّنا خصوصيّة علم البلاغة رغم سبقه لبعض القضايا النّصية التي تناولها علم لغة النّص الحديث: (بحيري، 2010، صفحة 21)" إنّ البلاغة هي السّابقة التّاريخيّة لعلم النّص إذا نحن أخذنا في اعتبار توجهها العام، المتمثّل في وصف النّصوص وتحديد

وظائفها المتعدّدة، لكننا نؤثر مصطلح علم النّص؛ لأنّ كلمة بلاغة ترتبط حاليا بأشكال أسلوبيّة خاصّة كما كانت ترتبط بوظائف الاتّصال العام ووسائل الإقناع" .

2. اختلاف الغايات:

إنّ غاياتِ علم لغة النّص ذات طابع وصفي وتحليلي؛ إذ يسعى إلى الكشف عن آليات تشكّل المعنى داخل النّص، ورصد العلاقات التي تربط عناصره، وتفسير عمليات التّماسك والانسجام ووظائف الخطاب، فهو: (بحيري، 2010، صفحة 9) " العلم الذي استطاع أن يجمع بين عناصر لغوية وعناصر غير لغوية لتفسير الخطاب أو النص تفسيرا إبداعيا."

أما التّفسير اللّغويّ فيهدف إلى بيان مراد الشّارع وإيضاح الدّلالات التي يقصدها النّص القرآني على وجه الخصوص، من خلال ضبط المعنى الصحيح وتحقيق الفهم الشّرعي للألفاظ والتّراكيب، قال صاحب معاني القرآن وإعرابه في بدايته: (الزجاج، 1988، صفحة 184/1) "وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتّفسير، لأنّ كتاب الله ينبغي أن يُتبين ألَا ترى أنّ الله يقول ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[النساء:82] (فحُضِضْنَا) على التّدبر والنّظر، ولكن لا ينبغي لأحدٍ أن يتكلّم إلا على مذهب اللغة، أو ما يوافق نقلة أهل العلم". ومن ثمّ فغاية الأول معرفيّة تحليلية، في حين تتجاوز غاية الثاني الجانب الوصفي إلى بيان الحكم الشرعي والمقصد الإلهي.

3. اختلاف الإطار الإجرائيّ:

يعتمد علم لغة النّص على أُطُر إجرائية دقيقة تتعلّق بمستويات التّرابط النّصيّ مثل الإحالة، والاتّساق، والانسجام، والبنية الخطابية، والعلاقات السّياقية، وبحوث المقام وسياق الموقف، بينما يعمل التفسير اللغويّ وفق أدوات إجرائية تراثيّة متوارثة، أهمها الاحتكام إلى اللّغة العربية في معاجمها وشعرها، والرّجوع إلى القراءات وأسباب النّزول، واستحضار السّنة، والنّظر في استعمالات العرب، وهذه الاختلافات تجعل الممارسة العمليّة لكلّ منهما تسير في اتجاه مختلف، رغم وجود إمكانات للتّقاطع بينهما في بعض الجوانب الدلاليّة.

ومع كل ما تقدّم تبقى الدّعوة إلى اعتماد مقاربة تكامليّة بين التفسير اللغوي وعلم لغة النص لها مسوّغاتها، كما يقول محمد خطّابي صاحب أول مؤلّف عربي في اللسانيات النّصيّة، منها أنّ العودة إلى التّراث اللغويّ العربيّ عند دراسة قضايا لسانيات النّص ضرورة علميّة تفرضها خصوصية النّصوص العربيّة، من أجل الاستفادة من الجهود التي بذلها العلماء العرب القدامى في فهم النصوص عامة وتحليلها وتفسيرها، لا سيّما القرآن الكريم، دون اتخاذ موقف المتوجّس من المناهج اللسانية الغربية أو اعتبار النّص العربيّ مختلفًا اختلافًا جذريًا يجعل تلك المناهج غير صالحة لتحليله، وإنما الغاية هي إحياء تلك الإسهامات التّراثيّة وإبراز قيمتها العلميّة، لما تحتويه من رؤى ومقترحاتٍ ثريّة يمكن أن تتكامل مع المنجزات اللّسانية الحديثة. (خطابي، 1991م، صفحة 95)

خاتمة:

يظهر لنا مما تقدّم أنّ العلاقة بين علم لغة النّص والتفسير اللغويّ للقرآن الكريم علاقةٌ مركّبة تتراوح بين التّداخل المنهجيّ والتمايز المعرفي. فقد بيّن التّحليل أنّ كلا المنهجين يُعلي شأن البنية الكلية للنّص ويستثمر السّياق بوصفه عنصراً موجّهاً للفهم، غير أنّ مساراتهما تختلف باختلاف الغايات؛ فبينما يركّز علم لغة النّص على بناء نموذج وصفي يحدّد معايير النّصيّة ويكشف آليات الانسجام والاتّساق، فإنّ التّفسير اللغويّ يستهدف خدمة المعنى الشّرعي المنضبط بضوابط النّقل والمأثور، مستندًا إلى معهود العرب في لغتهم وأساليبهم.

كما أظهر التطبيق أنّ كثيراً من أدوات اللّسانيات النّصية،كالاهتمام بالتّرابط السّياقي، والكشف عن العلاقات الدلالية، والنّظر إلى النّص بوصفه وحدةً متكاملة، تشكل امتداداً طبيعيّاً لممارساتٍ تفسيريّة راسخة في التّراث، لدى أئمة كالزّجاج والزّمخشري وغيرهما. غير أنّ الإفادة من هذه الأدوات الحديثة لا يمكن أن تكون كاملة ما لم تُراعَ خصوصية النّص القرآنيّ، باعتباره خطابًا إلهيًا له مرجعيته ووظيفته وهداياته، وهو ما يجعل التّكامل بين المنهجين مشروطًا بضبط الحدود المنهجيّة لكلٍّ منهما.

وتقود هذه المعطيات إلى نتيجة مركزيّة مؤدّاها أنّ المقاربة التّكامليّة ممكنة ومثمرة، متى استندت إلى احترام الضوابط التفسيريّة، واستثمار ما تُتيحه اللسانيات النصيّة من آليات تحليليّة تُعين على تعميق الوعي بالبنية الخطابية للقرآن الكريم، كما تؤكد أن الانفتاح على الدّرس اللّساني الحديث لا يعني تجاوز التّراث التفسيريّ، بل إعادة قراءة أدواته في ضوء مناهج التحليل المعاصرة بما يعزّز فهمًا أكثر دقة وشمولًا للنّص القرآني، وبذلك تُسهم هذه الورقة البحثيّة في تعزيز الحوار العلميّ بين التّراث واللسانيات الحديثة، وتفتح آفاقًا لبحوث تتجاوز التّعارض الوهميّ بينهما إلى التوازن في الطرح والتناول.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م.
- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م.
- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، 1988م.
- الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م.
- الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
- السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1974م.
- الشاطبي، الموافقات، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1997م.
- خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، منشورات الاختلاف، ط1، 2015م.
- ذهبية حمو الحاج، التداولية وإستراتيجية التواصل، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2015م.
- سعيد بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، ط2، 2010م.
- عزة شبل، علم لغة النص، مكتبة الآداب، القاهرة، 2018م.

• فولفجانج هاينه مان وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد بحيري، ط1، 2004م.
• محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م.
• مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي.

List of Sources and References

• Al-Qur'an al-Karim bi-riwayat Hafs 'an 'Asim.
• Ahmad 'Afifi, Nahw al-Nass: Ittijah Jadid fi al-Dars al-Nahwi, 2001.
• Ahmad al-Mutawakkil, al-Khitab wa Khasa'is al-Lugha al-'Arabiyya, 2010.
• Al-Zajjaj, Ma'ani al-Qur'an wa I'rabuh, 1988.
• Al-Zarkashi, al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an, 1957.
• Al-Zamakhshari, al-Kashshaf, 1407 AH.
• Al-Suyuti, al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an, 1974.
• Al-Shatibi, *al-Muwafaqat*, 1997.
• Khalid Hamid Sabri, al-Lisaniyyat al-Nassiyya fi al-Dirasat al-'Arabiyya al-Haditha, 2015.
• Dhahabiyya Hammu al-Hajj, *al*-Tadawuliyya wa-Istratijiyyat al-Tawasul, 2015.
• Sa'id Buhayri, 'Ilm Lughat *al-Nass: al*-Mafahim *wa* al-Ittijahat, 2010.
• 'Azza Shibl, 'Ilm Lughat al-Nass, 2018.
• Wolfgang Heinemann wa Dieter Viehweger, Madkhal ila 'Ilm Lughat al-Nass, 2004.
• Muhammad Khattabi, *Lisaniyyat al-Nass:* Madkhal ila Insijam al-Khitab, 1991.
• Musaid al-Tayyar, al-Tafsir al-Lughawi lil-Qur'an al-Karim.